

قصص القرآن

نبأ أنبياء آدم والفرااب

ريشة: مصطفى حسين

قلم: أحمد بهجت



دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٢٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٢١٨١٤ (٠٢) تليكس : 93091 SHROK UN
بيروت : حي . جب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧١٥ - ٨١٧٧١٣ برقا : داشروق - تليكس : SHOROK 20175 LE

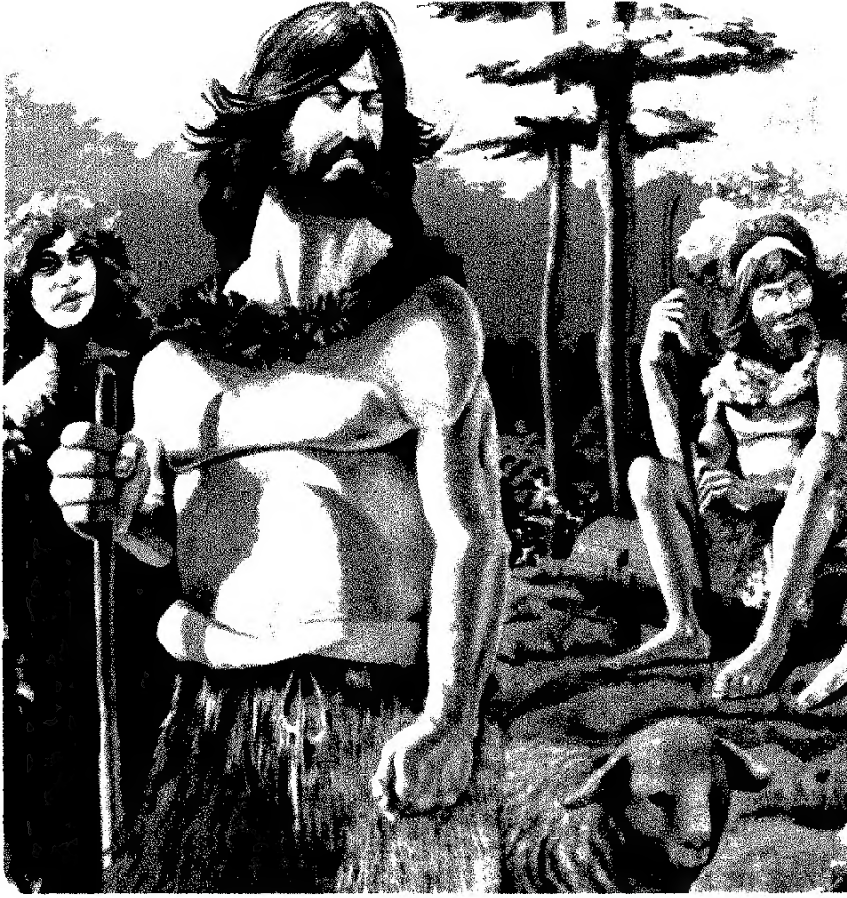
قصص القرآن

نبأ ابنى آدم والفرااب

ریشه: مصطفیٰ حسین

قلم: الامک بهجت

دارالشروق



عَنيفاً وصارماً كان هابيلٌ وديعاً ولطيفاً ،
وكانت المشاعرُ الداخليةُ التي تملأُ
قلبَ كُلِّ واحدٍ منهما تنعكسُ على
وجهه وتظهرُ على ملامحه ..

كان قابيلٌ قويُّ الجسدِ حادُ
المَلاعِجِ ، ولم يكن راضياً عن حظِّه
في الزَّواجِ ، وبالتالي فقد كان يحسُّدُ
شقيقه هابيلَ .. ويقدرُ ما كان قابيلُ



وبدأ هذا الأخُ يحسُّ بالكراهية نحو
أخيه .
كان أسم هذا الأخ قابيلَ .. أما
الأخ الثاني فكان أسمه هابيلَ ..

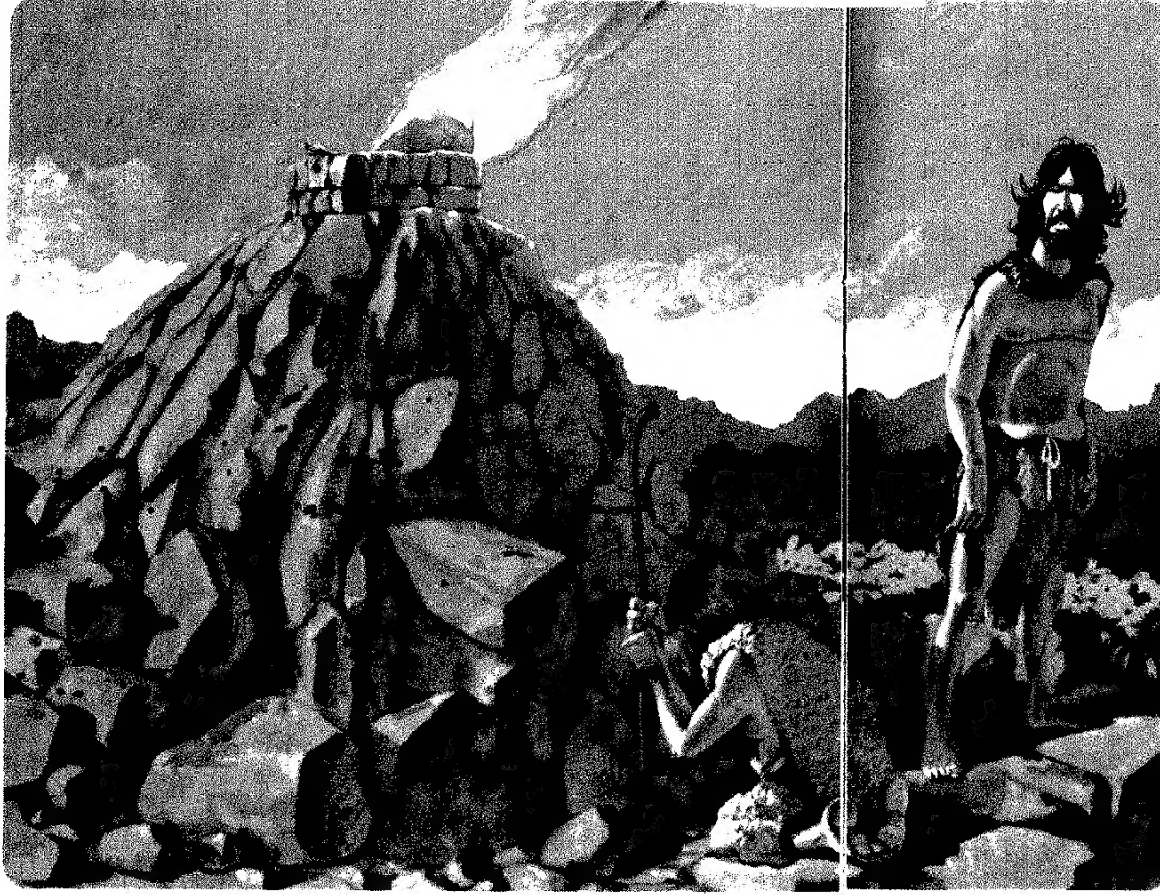
الحياةُ الإنسانيةُ بهبوطِ آدمَ
وحواءَ إلى الأرضِ ،
كانت حواءُ تلدُ في البطنِ الواحدِ
توأمينَ ذكرًا وأنثى .. فإذا مرَّ عامٌ
ولدت في البطنِ الثاني ولداً وبنتاً ..

ولم يكنْ يحلُّ للولدِ أن يتزوَّجَ من
شقيقته التي وُلدت معه في نفسِ
البطنِ ، إنما كان يستطيعُ الزَّواجَ من
ابنةِ البطنِ الثانيةِ ، بعدَ الله بينهما كما
بعدَ بين الأقاربِ ..

في ذلك الزمانِ البعيدِ ، حين كان
بالوجودِ آثنانِ من أبناءِ آدمَ .. وقعتْ
هذه القصةُ لهما ..

تزوَّجَ الولدُ الذي وُلدَ في البطنِ
الأولِ بالبنتِ التي وُلدت في البطنِ
الثاني .. وتزوَّجَ الولدُ الذي وُلدَ في
البطنِ الثاني بالبنتِ التي وُلدت في
البطنِ الأولِ ..

وكان أحدُ الأخوين غيرَ راضٍ عن
زَواجِهِ حيث كان يرى زوجةَ الآخرِ
أجملَ من زوجتهِ .



وذاث يومٍ أَمَرِ آدَمُ وَلَدِيهِ أَنْ يُقَدِّمَا
قُرْبَانًا لِلَّهِ ..

سَأَلَاهُ : مَاذَا يَعْنِي بِالْقُرْبَانِ ؟

قَالَ آدَمُ : الْقُرْبَانُ هَدِيَّةُ شُكْرِ
إِلَى اللَّهِ .. إِذَا تَقَبَّلَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى ، فَسَوْفَ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ نَارٌ
تَلْتَهُمُهَا .. وَسَيَكُونُ هَذَا إِيْذَانًا
بِقَبُولِ اللَّهِ لَهَا .. أَنْصَرِفِ الْآخِرَانِ
وَجَاءَ عِيدُ الشُّكْرِ ..

كَانَ قَابِيلُ غَنِيًّا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ
كَرِيمًا .. وَرَاحَ يُفَكِّرُ مَاذَا يُقَدِّمُ
لِلسَّمَاءِ .. وَخَشِيَ عَلَى كِبَاشِهِ وَعُجُولِهِ
وَقَرَّرَ أَنْ يُقَدِّمَ بَعْضَ أَعْوَادِ الْقَمْحِ
الضَّعِيفَةِ الَّتِي قَدَّرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ أَنَّهَا لَا
تَصْلُحُ لِصِنَاعَةِ الْخُبْزِ .. كَانَ سَيْرِمِهَا
عَلَى أَيِّ حَالٍ .. لَمْ يَكُنْ
لِیَسْتَخْدِمَهَا .. هَكَذَا فَكَّرَ قَابِيلُ .

صَعِدَا جُزْءًا مِنْهُ وَوَضَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
قُرْبَانَهُ ..

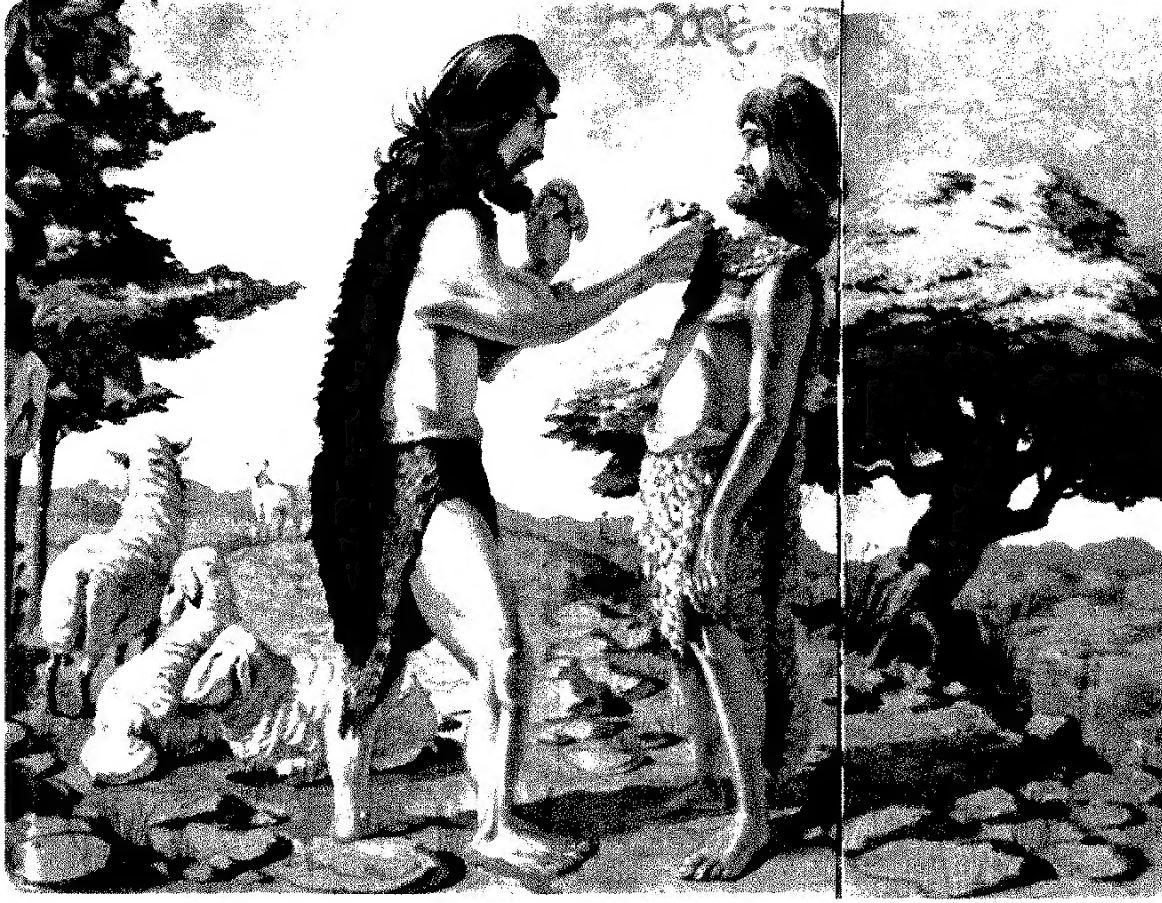
وَضَعَ هَابِيلُ كِبْشَهُ السَّمِينِ ..

وَوَضَعَ قَابِيلُ حَفْنَةً مِنْ أَعْوَادِ

أَمَّا هَابِيلُ فَكَانَ رَغِمَ فَقْرِهِ كَرِيمًا ..
حَيْثُ قَرَّرَ أَنْ يُقَدِّمَ لِلْقُرْبَانِ أَسْمَنَ
الْكِبَاشِ .

وَتَوَجَّهَ قَابِيلُ وَهَابِيلُ إِلَى الْجَبَلِ ..

هَابِيلُ .. وَظَلَّ قُرْبَانُ قَابِيلَ عَلَى حَالِهِ
لَمْ يَمَسَّهُ شَيْءٌ .
وَأَنحَدَرَا مِنَ الْجَبَلِ وَوَقَفَا عِنْدَ
سَفْحِهِ يَنْتَظِرَانِ ..
هَبَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ نَارٌ أَكَلَتْ قُرْبَانَ
قَابِيلِ .. وَظَلَّ قُرْبَانُ قَابِيلَ عَلَى حَالِهِ
لَمْ يَمَسَّهُ شَيْءٌ .
أَنَحْنِي هَابِيلُ يَسْجُدُ لِلَّهِ ..
وَوَقَفَ قَابِيلُ يُحَدِّثُ فِي هَابِيلِ ..



ومن أعماق رُوحه تصاعدت موجة من
الغضب والكراهية ..

وأدرك قابيل أن الله يحب أخاه أكثر
مما يحبه .. أدرك أن الله قد تقبل من
أخيه ولم يقبل منه ، وبدلاً من التوبة
المطهرة وإصلاح الذات ، احترق
قلب قابيل بكراهية عميقة نحو
أخيه .. ووسوس إليه الشيطان أن
يقتله .. كانت نظرته على البعد
تكشف فاع رُوحه التي تموج بأفكار
الشر والجريمة .

أنفرد قابيل بشقيقه وسأله : لماذا
تقبل السماء قربانك ولم تقبل
هديتي .. قال هابيل : لا أعرف لماذا
حدث ذلك ، ولكنني أعتقد أن قلبك
ليس صافياً لله ، لو صفا قلبك لله
لتقبل الله عملك وقربانك ..

قال قابيل : ﴿ لَا قَتْلُكَ ﴾ .

قال هابيل : لا تغضب يا قابيل ،
﴿ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .. لو
ندمت الآن وعُدت إلى الله فسوف
يقبل منك .
قال قابيل : ﴿ لَا قَتْلُكَ ﴾ .

قابيل (ثائراً) : سأقتلك ذات
يوم .. ثم انني فاعل .

هابيل : لن أقدم لك لوحاولت
قتلي ، ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي ﴾

وَإِثْمَكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ
جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿

أنصرف قابيل ثائراً ومضى يفكر ..
أحس أنه في حاجة إلى أن يسير

قال هابيل : ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لَيَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ
لَأَقْتُلَكَ .. إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴾ .



طويلاً حتى يَهْدِيءَ من نفسه النائرة . .
كان الشيطان يُفَكِّرُ معه ويسيرُ جواره أو
يَنْبُضُ في دمايته ويوسوسُ إليه ويَزِينُ له
فكرة القتل . .

قال قابيلُ لنفسه : لقد آن الأوانُ
لإزاحته من طريقي . . إن التخلُّصَ
منه سوف يَكْسِبُنِي أرضه وزوجته . .

ومضى قابيلُ يسيرُ حتى انتهى إلى
شجرة يرقُدُ جوارها جمارٌ ميتٌ . . كان
الجمارُ قد مات منذ قليلٍ . . وهبطتِ
الطيورُ الجارحةُ عليه من كلِّ اتجاهٍ
ومضتْ تلتهمُ لحمه . .

بعد ساعاتٍ قليلةٍ كان الحمارُ قد
تحولَ إلى هيكلٍ عظميٍّ . . ووقفَ
قابيلُ يرقُبُ المشهد . .

إن الصراعَ يجري في كلِّ مكانٍ
على الأرضِ ، فلماذا لا يَنْقُضُ على
شقيقه كما تَنْقُضُ هذه الطيورُ الجارحةُ
على المأدبة التي هيأها موتُ
الحمارِ . . .

أقتربَ قابيلُ أكثرَ من الحمارِ
فطاربتِ الطيورُ مُبتعدةً عنه . . تأملُ

قابيلُ الحمارَ . . .

تأملُ فكَّه . . ألا يصلحُ هذا الفكُّ
سلاحاً يَتَخَلَّصُ به من أخيه ؟ مدَّ يدهُ
وأتزَعَّ فكَّ الحمارِ من الهيكلِ

العظميِّ وحمله ومضى به . .

قال لنفسه : من يدري . . قد
يُخَلِّصُنِي هذا الفكُّ من أخي !

فكَّرَ قابيلُ طويلاً في جريمته قبل أن

يرتكبها . . كان يعلمُ أن شقيقه هابيلُ
يحبُّ الطبيعةَ ، وكثيراً ما ينامُ في كهفٍ
صخريٍّ تطلُّ فتحةُ على الحدائقِ .

قال لنفسه : سوف تحينُ فرصتي



حين يدخلُ الكهفَ وينامُ ..
وجاءَ يومُ الجريمةِ .. ودخلَ هابيلُ
إلى الكهفِ ونامَ فيه كعادته .. كان
هابيلُ مُرهقاً لم ينامِ الليلةَ السابقةَ
كُلَّها ، سهرَ فيها إلى جوارِ زوجته التي
كانت تتألمُ وتتهيأُ لميلادِ طفلها الأول ،
وفي الصُّباحِ المُبكرِ صحبَ زوجته
وذهبَ بها إلى أمهما حواءَ ، لكي تلدَ
عندها .. ثم ولدَت ذكراً وبتاً جميلين
فيهما صفاءُ هابيلَ ..

استراحَ هابيلُ أخيراً وجاءَ إلى كهفه
الأثيرَ ، وسرعانَ ما استغرقَ في
النومِ ..

انتظرَ قابيلُ حتى تأكدَ أن شقيقه
نامَ ، ثم تسلَّلَ إلى الكهفِ وهو يُشدُّ
قَبْضَتَهُ على فَكِّ الحمارِ ..

كان ذهنه يَمُوجُ بتيارٍ من الشرِّ الذي
يَهْزُهُ هزّاً رَغمَ صلابته .. وكان
الشيطانُ قد أفعَّه بفكرةِ القتلِ وسوَّلها
له حتى انطبعت في قلبه ..

وأقتربَ الشرُّ المسلَّحُ من الخيرِ
النائمِ ، استغلَّ الشرُّ فرصةَ نومِ الخيرِ
ورفعَ يده وهزَّ بها على شقيقه ..

ونسدَّقَ دَمُ الشقيقِ يَجري على
الأرضِ ..
مات هابيلُ ..
سكنت حركته واستسلمَ

للموتِ .. أحسَّ قابيلُ بالفزعِ حين
هَمَدَت حركَةُ أخيه تماماً وأستلقى على
ظهره ودمه ينزِفُ .. توقَّفَ قابيلُ عن
ضربِ أخيه وهزِّه فوجدَه لا يتحركُ ..
أمتلأ قلبه بخوفٍ باردٍ ولم يعرفَ ماذا
يفعلُ .. ناداه فلم يُجِبْهُ .. وحدَّته
فلم يَلْتَفِتْ إليه .. وأدركَ قابيلُ أنه قتلَ
شقيقه ..



كان هابيل أول إنسان يموت على
سطح الأرض ، وكان موته أول
جريمة قتل تقع في السجود
الإنساني . . لم يكن قد مات قبل ذلك
من البشر أحد . .

وحار قابيل ماذا يفعل بجسد شقيقه
الذي سكنت حرته ، وحار قابيل أين
يُخبئه ويخفي جريمته . .

وهكذا حمل قابيل جسد شقيقه
الميت هابيل ومضى يسير به . . أراد
أن يخبئه في مكان بعيد حتى لا يصل
إليه أحد . . لم يجد مكاناً يصلح
لذلك . .

ظل يسير حتى تعب ، ثم مرّ
الهواء صوت طائر بصرخ ، أفرغته
الصرخة وملأت نفسه بشؤم
مجهول . .

ألقت القاتل فرأى في السماء غراباً
يطير وهو يمسك بمنقاره شيئاً لم
يتبينه .

وزادت جبرته واشتد إحساسه
بالفزع . . وأحس بثقل أخيه كأنه

غراباً ميتاً . . وضع الغراب الحي
شقيقه الميت على الأرض وساوى
أجنحته وحفر له حفرة بمنقاره
وأقدامه ، حتى إذا صنع لأخيه لحده

كان حائراً تموج نفسه بمشاعر
مختلطة من الخوف والرعب
والقلق . .
ثم اقترب الغراب فرأه قابيل يحيل

يحمل جبلاً ضخماً .
وقف قابيل ووضع شقيقه على
الأرض وهو لا يعرف ماذا يفعل أو
كيف يتصرف . .



وقبره ، رفعه بمنقاره ووضعهُ برفقٍ في
قبره . ثم صرّخ صرختين قصيرتين كأنه
يئكيه وعاد يهيل عليه التراب .. بعدها
طار في الجوّ وهو يصرخ ..

وأدرك قابيلُ أن الله بعث إليه من
يُعلّمهُ درسين معاً في وقتٍ واحدٍ ..

أما أحدُ الدّرسين فقد عرّفه قابيلُ
على الفور ..

أما الدرسُ الثاني فقد عرّفه قابيلُ
بعد ذلك بزمان ..

لقد عجزَ قابيلُ وحدهُ عن دفن أخيه
رغم أنه قتله ، ولولا الغرابُ ما عرف
كيف يُؤاري جسدهُ الهامد ..

قال لنفسه : لم أعرف كيف أدفُن
أخي ودفنَ الغرابُ أخاه ..

كان هذا هو الدرسُ الأوّل الذي
تعلّمه قابيلُ ..

عرفَ أنه كان أقلُّ في ميزانِ الرحمةِ
من الغرابِ .. والأصل أنه سيّد
الكائناتِ .

ونهض قابيلُ وحفرَ حفرةً لأخيه
ودفنه فيها ، ثم تذكّر صراخَ الغرابِ

الغرابُ فأواري سواة أخي !

أنصرف قابيلُ مُمتقعَ الوجه مُترعَ
القلبِ بالنّدمِ والهمومِ .

وجاء المساء ولم يعدْ هابيلُ ..

ومرّت الأمسياتُ والليالي ولم يعدْ
هابيلُ ..

سأل آدمُ قابيلُ : أين ذهبَ هابيلُ ؟

قابيلُ : لست أعرفُ أين ذهب ..

الحيُّ على الغرابِ الميّتِ فمزقهُ النّدمُ
على جريمته فأصبحَ من النادمين .

قال وهو ينهارُ على الأرضِ : ﴿ يَا
وَيْلَتَا أَعِجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا



وقرأ آدم في عينيّ ابنه خطيئته ..
وسأله :

— قابيل .. ماذا فعلت بأخيك
هايل ؟ إن الله لم يتقبل قربانك ..
ماذا فعلت بأخيك ؟

وتذكر قابيلُ قربانه الذي تجاوزته
السما .. تذكر كلمات هايل له ..
لقد أشار يومئذٍ إلى الندم .. حثّه
على الندم حين رفضت السماء
قربانه ..

لأنه عرف ندم التوبة الجميل على
الذنوب لما أهلكه ندم الخطيئة
الفاجع ..

وكان هذا هو الدرس الثاني الذي
تعلمه قابيل ..

انتهى الأمر ولم تعد لهذا الدرس
قيمة .. صار قابيل قاتلاً ..

انتهى الأمر وفقد طمأنينة نفسه
وتمزق سلامه الداخلي وأصبح من
النامين .. صار الندم هو خبزه اليومي
المُر الذي قدر عليه أن يأكله طوال
حياته ..

في نفس الوقت .. كان أبناء
الشهيد هايل يكبرون في السن ..
وكان هذا إشارة إلى أن الدنيا ما
زالت تنجب الخير وإن ملأها الشر ..

أهل النعيم .. وزاد إحساسه
بالمرة ..
وعرف آدم بما حدث .. وزاد ندم
قابيل ..

خير قابيل نفسه بسبب جريمته ،
وأدرك أن كل مكاييه من جريمته لا
تساوي خسارة نفسه .. أدرك أنه من
أهل النار .. وأدرك أن شقيقه من

سُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَمْرٌ عَلَيْهِمْ نَاسِئِ الْأَمْرِ بِالْحَقِّ إِذَا قَرَّبْنَا قُتَيْلًا مِنْ أُمَّةٍ
يَسْتَقْبِلُ مِنَ الْأَمْرِ قَالَ لَا قُتْلَكَ قَالَ إِنَّمَا يَسْتَقْبِلُ اللَّهُ مِنَ الثَّقِينِ
لَنْ يَسْلُطَ إِلَيْكَ لِقَائِي مَسَا أَنَا بِسَاطِ يَدِي إِلَيْكَ لَا قُتْلَكَ إِنِّي
أَعْلَمُ اللَّهُ بِالثَّقِينِ • إِنَّ أَرِيدُ أَنْ تَتَوَّأ بِأَمْرِي وَأَتَمَّكَ
فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ بِرَأْوِ الظَّالِمِينَ • فَلَمَّعَتْ لَهُ
نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِي فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الظَّالِمِينَ • فَبَعَثَ اللَّهُ مُرَا
يَحْتَ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوَاءُ أَخِي قَالَ يَتَوَّأ بِأَمْرِي
إِنْ الْكُونُ يَفْقِدُ هَذَا الْغُرَابَ فَأُورَى سَوَاءُ أَمْرِي فَأَصْبَحَ مِنَ الظَّالِمِينَ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



To: www.al-mostafa.com